داليتا الحصرى وشوقى

دراسة - تحليل - موازنة

د/ محمد عارف حسين

- ٢ -

ثالثاً : الموازنة بين القصيدتين

أولا : معالم القصيدتين :

(١)

الأبيات الاثنان والعشرون، التى نظمها الحصرى فى الغزل، والتى درسناها آنفاً ، والأبيات الثمانية والعشرون التى صاغها شوقى فى الغزل — أيضاً — معارضاً بها الحصرى فى أبياته تلك — هاتان القطعتان قيلتا فى غرض واحد هو الغزل . وقد جاءتا على وزن واحد هو وزن بحر « المتدارك » ، فاعلن ثمانى مرات ، الذى يمكن تحويل التفعيلة فيه إلى فعلن بتحريك العين وفعلن بسكونها ، وهذا الوزن الشعرى أعطى للقصيدتين طواعية كاملة فى الموسيقى الشعرية ، والغناء الشعرى ، مما رفع منزلتهما فى نظر النقاد . وقد جاءتا — أيضا — على روى واحد ، وهو الدال الموصولة بالهاء .

(٢)

والمعانى التى أتى بها الحصرى فى قطعته الغزلية هى :

طول ليل المحب وسهره وحزنه ، وطيف خيال الحبيب ، وجماله ، وخمر رضابه ، وسيف لحظه ، وجناية عينه وحمرة خده ، واستعطافه ، وضنى المحب وفناؤه .

والمعانى التى أتى بها شوقى فى قطعته هذه هى :

ضنى المحب وعذابه وسهره ولوعته ، وطيف خيال الحبيب ، وجماله وجناية عينه ، ودقة خصره ، وحسن قده وجيده ، وعذوبة رضابه ، والصبر على الوشاة ، والحرص على الحب والبراءة من السلوان ، والرفق بالحساد ، وتفدية الحبيب ، وجمال أسنانه ، وحسن خاله .

وما من شك فى أن المعانى التى جاء بها شوقى متفقة فى أغلبها مع المعانى التى أتى بها الحصرى ، وما من شك — أيضاً — فى أن شوقياً قد تأثر فى غالب صوره التى عبر بها عن معانيه بالحصرى فى صوره وأخيلته .

(٣)

ومما تقدم نستطيع أن نقول : إن الحصرى قد سبق بالموضوع والوزن والروى ، وأغلب المعانى والصور والأخيلة ، وهذا يعد حدوا من شوقى ، حذا فيه حذو الحصرى ، وهذا مايسمى بالمعارضة ، والمعارضة لاتعد — بالنسبة للمعارِض — عيبا يسمه بالضعف الفنى أو التخلف الأدبى ، بل يعد مباراة ومصاولة وامتحانا من الشاعر المعارض لمقدرته الشعرية وموهبته الفنية :هل يستطيع أن يلحق بركب الشاعر المعارَض المتقدم عليه ، أم يعجز عن اللحاق به ؟ وهل يستطيع أن يتفوق عليه فيما أتى به من بديع المعانى . وجميل الخيال ودقيق التعبير ؟ أم سيظل مساويا له أم أقل منه ؟ .

ومن هنا لانستطيع بأى حال من الأحوال أن نميز المتقدم لأنه متقدم ولا أن نظلم المتأخر لأنه متأخر ، وإنما يكون حكمنا على القصيدتين بصرف النظر عن المتقدم أو المتأخر .

° ° °

ثانياً : الموازنة :

والموازنة بين هاتين القطعتين ستكون قائمة على :

(أ) بيان أوجه الاتفاق بين الشاعرين فى المعانى .

(ب) بيان أوجه الاختلاف بينهما كذلك .

(ج) بيان وجوه التفضيل بينهما فى المعنى الواحد من حيث :

١ ـ الصورة والأخيلة ٢ ـ الألفاظ المعبرة .

(د) بيان وجوه الحسن .

(ه) بيان وجوه الضعف .

(و) بيان التجربة الشعرية والعاطفة .

(ز) بيان الوحدة العضوية .

(أ) أوجه الاتفاق :

من دراستنا لكل من قصيدتى : الحصرى وشوقى اتضح لنا أن الشاعرين قد اشتركا معا فى كثير من المعانى وكان لكل منهما تعبيره الخاص عنها ، وهذه المعانى هى :

١ ـ سهر المحب وحزنه :

وهذا المعنى تحدث عنه الحصرى فى قوله :

رقد السمار وأرقه أسف للبين يردده

وقد عبر شوقى عن هذا المعنى بقوله :

مضناك جفاه مرقده وبكاه ورحم عوده

حيران القلب معذبه مقروح الجفن مسهده

٢ ـ صداقته للطبيعة :

وصداقة المحب للطبيعة نتيجة لسهره وأرقه تحدث عنها الحصرى بقوله :

فبكاه النجم ورق له مما يرعاه ويرصده

وهذا المعنى عبر عنه شوقى بقوله :

يستهوى الورق تأوهـــه ويذيب الصخر تنهـــده
ويناجى النجـــم ويتبعـه ويقيم الليـــل ويقعده
ويعـــلم كل مطـــوقة شجنـــا فى الدوح تردده

٣ — طيف الحبيب :

وطيف الحبيب معنى عبر عنه الحصرى بقوله :

نصبت عيناى لـــه شركا فى النوم فعـــز تصيده
وكفى عجبا أنى قنـــص للسرب سبانى أغيـــده
. . . . . .
بالله هب المشتاق كرى فلعل خيالك يسعـــده

ونظير ذلك عند شوقى قوله :

كم مـــد لطيفك من شرك وتأدب لايتصيـــده
فعساك بغمض مسعفـــه ولعل خيالك مسعـــده

٤ — جمال الحبيب :

وجمال الحبيب معنى عبر عنه الحصرى بقوله :

كلف بغـــزال ذى هيف خـــوف الواشين يشرده
صنم للفتنـــة منتصـــب أهـــواه ولا أتعبـــده

وهذا المعنى عبر عنه شوقى بقوله :

الحسن حـــلفت بيوسـفه والسورة إنك مفـــرده
قـــد ود جمالك أو قبسا حوراء الخـلد وأمرده
وتمنت كل مقطعـــة يدها لو تبعث تشهـده

٥ — رضابه :

وصف الحصرى رضاب حبيبه بأنه خمر حيث يقول :

صاح والخمـــر جنى فمـــه سكران اللحظ معربده

أما شوقى فجعله كوثرا حين يقول :

ورضاب يوعـده كوثره مقتول العشق ومشهده

٦ — جناية عينـه .

وقد عبر الحصرى عن هذا المعنى بقوله :

ينضو من مقلتـه سيفـا وكأن نعاسا يغمـده
فـيريق دم العشـاق به والويل لمـن يتقلـده
كلا لاذنب لمـن قتلت عيناه ولم تقتل يـده

وعبر عنه شوقى بقوله :

جحدت عيناك زكى دمى ... ...

٧ — حمرة خده :

وأتى الحصرى بهذا المعنى بقوله :

يامن جحدت عيناه دمى وعـلى خـديه تورده
خداك قـد اعترفا بدمى ... ...

وأتى به شوقى فى قوله :

. . . . . أكذلك خـدك يجحده ؟
قد عز شهودى إذ رمتا فأشرت لخدك أشهـده

٨ — هلاك المحب وبـكاء الناس عليه :

عبر الحصرى عن هذا المعنى بقوله :

ما ضرك لو داويت ضنى صب يدنيك وتبعـده
لم يبق هواك له رمقا فليبك عليه عوده
وغدا يقضى أو بعد غد هل من نظر يتزوده ؟

وعبر شوقى عن هذا المعنى بقوله :

مضناك جفاه مرقده وبـكاه ورحم عوده
. . . . . .
أودى حرقا إلا رمقاً يبقيه عليك وتنفده

(ب) أوجه الاختلاف :

(أ) المعانى التى انفرد بها الحصرى :

١ — وصف الليل :

استفتح الحصرى قصيدته بوصف طول الليل على المحب المتيم حتى كأن الليل ليس له نهاية ، وذلك بقوله :

يا ليـــل الصب متى غده أقيام الساعة موعده ؟

وهذا المعنى لا نجد له نظيرا عند شوقى

٢ — استعطاف الحبيب .

وقد عبر الحصرى عن هذا المعنى فى أبياته الأربعة الأخيرة :

يا أهـل الشوق لنـا شرق بالدمع يفيض مورده
يهوى المشتاق لقـاءكم وصروف الدهر تبعده
ما أحلى الوصـل وأعذبه لولا الأيام تنكده
بالبين وبالهجران فيا لفؤادى كيف تجلده ؟!

وهذا المعنى — أيضاً — مما استأثر به الحصرى ، ولا نجد له مقابلا عند شوقى .

(ب) المعانى التى انفرد بها شوقى :

انفرد شوقى بمعان أتى بها فى قصيدته ، وليس لها نظير عند الحصرى وهذه المعانى هى :

١ — وصف الجيد والقوام والخصر

يقول شوقى فى ذلك :

وهممت بجيـدك أشركه فأبى واستكبر أصيده
وهززت قوامك أعطفه فنبا وتمنـع أملده

سبب لرضاك أمهده ما بال الخصر يعقده

كما أنى شوقى — فى موضع آخر — يوصف القوام والخصر ، حيث يقول :

وقوام يروى الغصن له نسبا والرمح يمنده

ويخصر أوهن من جلدى وعوادى الهجر تبدده

٢ — الحرص على الحب والبراءة من السلوان :

وهذا المعنى أتى به شوقى فى قوله :

بينى فى الحب وبينك ما لا يقدر واش يفسده

ما بال العاذل يفتح لى باب السلوان وأوصده ؟!

وقوله :

ما خنت هواك ولاخطرت سلوى بالقلب تبرده

٣ — تفدية الحبيب :

يقول شوقى :

مولاى وروحى فى يده قد ضيعها سلمت يده

٤ — الرفق بالحساد :

يقول شوقى :

حسادى فيه أعـذرهم وأحق بعذرى حسده

٥ — جمال أسنان الحبيب :

يقول شوقى فى هذا المعنى :

قسما بثنايا اؤلؤها قسم الياقوت منضده

٦ — حسن خاله :

يقول شوقى فيه :

وبخال كاد يحـج له لو كان يقبل أسـوده

وهكذا يتبين لنا من خلال العرض لأوجه الاتفاق بين الشاعرين فى المعانى ، وأوجه الاختلاف بينهما ، أن قصيدة شوقى أحفل بالأغراض وأكثرها استقصاء لمعانى الغزل من قصيدة الحصرى .

(ج) وجوه التفضيل بين الشاعرين :

اشترك الشاعران فى الكثير من المعانى — كما مر — وقد اشتركا — بالتالى — فى الكثير من الصور والأخيلة التى عبرا بها عن هذه المعانى ، وطبعى أن يكون لكل منهما طريقته الفنية الخاصة التى يتناول بها التعبير عن هذه المعانى ، وأن يكون لكل منهما — أيضاً — خياله الخاص الذى يؤلف له الصور والأخيلة .

ويهمنا فى هذا المقام أن نوازن بين الشاعرين فى المعانى التى اشتركا فيها ، وأن نفاضل بينهما فى الإبداع الفنى وأن نكشف عن وجوه الجمال فى الصور والأخيلة عند كل منهما :

١ — سهر المحب وحزنه

هذا المعنى عالجه كل من الشاعرين كما مر : عالجه الحصرى فى بيت واحد هو :

وقد السما وأرقه أسف للبين يردده

وعالجه شوقى فى بيتين هما :

مضناك جفاه مرقده وبكاه ورحم عوده

حيران القلب معذبه مقروح الجفن مسهده

ويتبين لنا من المقارنة بينهما أن « شوقى » قد تفوق على « الحصرى » فى أداء هذا المعنى ، لأن « شوقى » قد فصل هذا المعنى وأكده فى أكثر من صورة شعرية : « مضناك جفاه مرقده » و « حيران القلب معذبه » و « مقروح الجفن مسهده » .

هذا بالإضافة إلى مايوحيه لفظ « مضناك » من دلالة بينة على حال هذا المحب بقصد استعطاف قلب حبيبه القاسى ، وبالإضافة — أيضاً — إلى زيادته فى المعنى بقوله : « وبكاه ورحم عوده » .

ويقابل هذه الوجوه فى بيتى شوقى وجه واحد فى بيت الحصرى وهو اشتماله على صورتين : صورة السمار وقد ناموا ، وصورة المحب المتيم وقد سهر وأرق : « رقد السمار وأرقه » بالإضافة إلى ذكره سبب الأرق وعلته وهو الأسف المردد من أجل الفراق :

« أسف للبين يردده »

٢ — صداقة المحب للطبيعة :

بالمقارنة بين الحصرى وشوقى فى هذا المعنى نجد أن الحصرى قد عبر عنه فى بيت واحد ، هو :

فبكاه النجم ورق له مما يرعاه ويرصده

وعبر عنه شوقى فى ثلاثة أبيات هى :

يستهوى الورق تأوهه ويذيب الصخر تنهده
ويناجى النجم ويتبعه ويقيم الليل ويقعده
ويعلم كل مطوقة شجناً فى الدوح تردده

وبالتأمل الفاحص والنظر الدقيق نجد أن « شوقياً » قد تفوق على الحصرى فى أداء هذا المعنى ، وذلك لأن « شوقى » قد وضح هذا المعنى وفصله ؛ حين وسع من دائرة أصدقاء المحب من أفراد الطبيعة ؛ فجعل الورق صـــديقاً له يستهويها تأوهه ، فهى تنفعل له وتتأثر لحاله ... « يستهوى الورق تأوهه » ، وجعل الصخر صديقاً له كذلك ، فتنهدات المحب تذيب الصخر وتسيله « ... ويذيب الصخر تنهده » كما جعل النجم نديماً له وسميرا يبثه المحب شكواه « ويناجى النجم » بل جعله « يتبعه » ويشاركه الليل النجم فى صداقته للمحب ، فهو الآخر يهتم بأمره ويتأثر لحاله « ويقيم الليل ويقعده »

بل جعل — كذلك — الحمائم المطوقة صديقاً له فهى تشاركه حزنه وألمه، بل تقتدى به حين تشكو وتنوح .

ويعـــلم كل مطـــوقة شجناً فى الدوح تردده

وهذا التوسيع فى دائرة الأصدقاء من أفراد الطبيعة للمحب المضنى قد دلل على اشتهار أمره ووضوح حاله التى هو عليها من الضنى والعذاب اللذين كانا نتيجة الحب والوجد ، وكأن أمر ضناه وعذابه لم يعد مشهوراً بين العوالم العاقلة فحسب ، بل امتد — كذلك — إلى العوالم غير العاقلة من أفراد الطبيعة ، وذلك أبلغ فى التعبير على حال المحب التى أثارت إشفاق ورثاء من حوله من الناس، وما حوله من الكائنات المحيطة به التى لاتشعر ولاتدرك .

وقد استتبع ذلك أن يعبر شوقى عن هذا المعنى فى أكثر من صورة شعرية ، وهى :

« يستهوى الورق تأوهه » و « يذيب الصخر تنهده » و « يناجى النجم ويتبعه » و « يقيم الليل ويقعده » و « يعلم كل مطوقة .. »

وفى المقابل نجد الحصرى قد قصر صداقة الطبيعة للمحب على النجم ، فجعل النجم باكياً لحاله شفقة ورحمة عليه، وذلك لعذابه فى الحب ولوعته فيه ، وهذا — بطبيعة الحال — قد قلل من صوره الشعرية ، إذ لانجد له سوى هذه الصورة الشعرية الوحيدة « فبكاه النجم ورق له ... »

وهى لاشك صورة جميلة فيها خيال رائع ، إلا أن الصور الشعرية عند شوقى أكثر ، فبلغ بذلك مبلغاً كبيراً فى أداء هذا المعنى .

٣ — طيف الحبيب :

حينما نحاول المقارنة بين الشاعرين فى هذا المعنى نجد أن « الحصرى » قد عبر عن هذا المعنى فى ثلاثة أبيات هى :

نصبت عيناى له شركا فى النوم فهز تصيده

وكفى عجباً أنى قنص للسرب سبانى أغيـــده

... ...

بالله هب المشتاق كرى فلعل خيالك يسعده

وعبر عنه « شوقى » فى بيتين ، هما :

كم مد لطيفك من شرك وتأدب لا يتصيـــده

فعساك بخفض مسعفه ولعل خيالك مسعده

ومن يمعن النظر فيما أورده الشاعران فى التعبير عن هذا المعنى يجد أن « الحصرى » قد فاق « شوقياً » فيه ، وهذا التفوق راجع لوجوه عدة :

(ا) كثرة الصور الخيالية عند « الحصرى » ، مما يعين على إبراز المعنى ، ووصوله إلى القارىء والسامع فى صورة مؤثرة ومثيرة أيضاً ، وهذه الصور هى :

« نصبت عيناى له شركا ... » و « أنى قنص للسرب ... » و « سبانى أغيده » و « هب المشتاق كرى » و « خيالك يسعده » .

(ب) إن قول الحصرى عن تمنع الطيف « ... فعز تصيده » حقيقة صادقة لأن العادة أن يتمنع الحبيب ، حتى لو كان طيفاً ، وأيضاً فليس فى طوق المحب أن يظفر بطيف حبيبه كلما مد له الاشراك ، وبهذا كان أقرب إلى الواقع فى التعبير عن هذا التمنع من قول شوقى عنه « ... وتأدب لا يتصيده » ، لأن شوقياً جعل عدم زيارة الطيف له مما نتيجة لتأدبه معه وذلك مجاف للواقع ، إذ لو كان كذلك لما تمنى زيارته ! ومن ناحية أخرى فإن التأدب فى هذا المقام ضعف ، ولو ذكر أنه يهاب أن يتصيده لكان حسناً لأن من حق الجميل الحسن كالحبيب أن يهاب (١) .

(ج) إن الحصرى قد فصل هذا المعنى فى أبيات ثلاثة تمثل أجمل الصور

---

(١) الموازنة بين الشعراء ١١٦ بتصرف (زكى مبارك) مطبعة مصطفى الحلبى

وأرفع الخيالات وأدق المعانى ، وقد ألم شوقى ببعض هذه المعانى فى بيتيه : « كم مد لطيفك من شرك ... » « فمساك بغمض ... » ولم يبلغ شوقى فى بيتيه مبلغ الحصرى فى الإحاطة بالمعنى وتفصيله ودقة أحكامه، إلا أننا لا نستطيع أن ننكر أن « شوقياً » كان أكثر مجاراة للحضارة من الحصرى حين جعل السر فى عدم زيارة طيف حبيبه له فى الأحلام هو تأدب المحب مع محبوبه ، من حيث جعل الحصرى السر فى ذلك هو نفار الحبيب ودلاله (١) .

٤ — جمال الحبيب :

حينما نقارن بين ماقاله الحصرى فى هذا المعنى وبين ماقاله شوقى فيه نجد أن الحصرى قد عبر عن هذا المعنى فى بيتين ، هما :

كلف بغزال ذى هيف خوف الواشين يشرده

... ...

صنم للفتنة منتصب أهواه ولا أتعبده

وعبر عنه شوقى فى أبيات ثلاثة ، هى :

الحسن حلفت بيوسفه والسورة إنك مفرده

قد ود جمالك أو قبساً حوراء الخلد وأمرده

وتمنت كل مقطعـــة يدها لو تبعث تشهده

وبالنظر والتأمل فيما أورده الشاعران فى هذا المعنى نجد أن « شوقياً » قد فاق « الحصرى » فيه ، وذلك لوجوه :

(ا) إن الحصرى عبر عن هذا المعنى فى صورة مختصرة موجزة حين جعل حبيبته غزالا مرة : « كلف بغزال ... » وحين شبهها بصنم مرة أخرى: «صنم للفتنة منتصب ...» بينما عبر عنه شوقى فى صور مفصلة شاملة فى أبيات ثلاثة تشرح هذا المعنى وتفصله وتؤكده ، والتفصيل — فى هذا المقام —

---

(١) موازنة بين شوقى والحصرى ٨ بتصرف (محمد عبد المنعم خفاجى) (على الاستنسيل)

أفضل من الإيجاز ؛ وذلك حين أقسم بيوسف صاحب الجمال وبسورته على أن حبيبه المثال الأوحد للجمال :

الحسن حالفت بيوسفه والسورة إنك مفرده

وأيضاً حين ذكر أن جماله قد تمناه او تمنى مسحة منه ، حـــور الجنة وولدانها المخلدون :

قد ود جمالك أو قبسا حوراء الخلد وأمرده

وأيضا حين ذكر أن صواحب يوسف اللاتى قطعن أيديهن حينما رأين جماله الفاتن — يتمنين لو يبعثن ليشاهدن جمال الحبيب :

وتمنت كل مقطعة يدها لو تبعث تشهده

وإن كانت كلمة « مقطعة » قد قللت من بهاء المعنى ورونقه ، لما توحى به من منظر تقطيع الأيدى وصورة إراقة الدماء ، مما يلقى فى النفس صورا مقززة بشعة منفرة !

وهكذا نرى « شوقيا » قد فصل هذا المعنى وأكده بهذه الصور البيانية الجميلة على حين اختصره الحصرى ، كما ذكرنا .

(ب) الألفاظ التى استعملها شوقى فى هذا المعنى ألفاظ معبرة موحية قد اتسقت مع المعنى خير اتساق ، فالتعبير عن حسن الحبيب قد حشد له شوقى كل ما يدل عليه فى أبياته الثلاثة. انظر إلى الألفاظ، وهى :الحسن — يوسفه — مفرده — ود — جمالك — قبسا — حوراء الخلد — أمرده . كل لفظة لها ظلالها التى تلقيها فى النفس ، ولها إيحاءاتها التى تعكس معنى الجمال فى السامع والقارىء .

(جـ) فى حين وفق شوقى فى التعبير عن هذا المعنى — وهو جمـــال الحبيب — بتلك الألفاظ التى أشرنا إليها فإن الحصرى خانه التعبير عن هذا الجمال ، وذلك حين اختار لفظ « صنم » للتعبير عنه، وذلك لأن كلمة «الصنم»

كلمة غير شعرية لكثرة ما ورد فى ذم الأصنام ، بالإضافة إلى أن هذا اللفظ يرتبط فى أذهان المسلمين بشىء غير محبوب بل مذموم وهى الأصنام التى كانت تعبد — فى الجاهلية — من دون الله ! بل هى رمز للقبيح ، والشىء الباطل المزعوم ، ولعل هذا اللفظ قد يحسن فى أذواق الناس ويستملح لو قيل فى مجتمع وثنى لأنه فى نظر هذا المجتمع رمز للشىء المقدس المعبود ! ولذا ما كان ينبغى للحصرى وهو يعبر عن جمال الحبيب أن يختار له هذا اللفظ الثقيل على الذوق ، والقبيح فى نفوس المسلمين .

٥ — رضاب الحبيب :

بالمقارنة بين الحصرى وشوقى فى التعبير عن هذا المعنى ، نجد أن الحصرى عبر عنه ببيت واحد هو :

صاح والخمر جنى فمه سكران اللحظ معربده

وعبر عنه شوقى ببيت واحد أيضا ، هو :

ورضاب يوعد كوثره مقتول العشق ومشهده

ومن يقرأ بيت الحصرى فى هذا المعنى ، ثم يقرأ بيت شوقى فيه يجد البون شاسعا والفرق بينا ، وفى ظنى أن المفاضلة فى صالح الحصرى ، لأن بيته أروع وأبدع من بيت شوقى لأن الحصرى جعل الخمر تجتنى دائما من فمه ، « صاح والخمر جنى فمه ... » وهى مثال للذة والنشوة .

وأيضا فإنه زاد على شوقى بالشعار الثانى الذى صور فيه حبيبه بأنه « سكران اللحظ معربده »

وأيضا فإن لفظ « صاح » له إيحاء خاص ورمز إلى شىء معين فهو يوحى بأن رضاب الحبيب خمر حتى وقت يقظته من النوم ، وهو غالبا ما تكون فيه رائحة الفم متغيرة كريهة تمجها النفس ، فإذا كان رضابها فى

وقت الصحو من النوم خمراً فما بالك به فى غير هذا الوقت ؟

أما شوقى فقد وقف عند جعل رضابها من جنس ماء كوثر الجنة ، وهو بهذه المثابة يوعد به صرعى العشق وشهداء الحب كما يوعد المتقون بكوثر الجنة !

٦ — جناية عين الحبيب :

فى هذا المعنى نجد « الحصرى » قد تفوق على « شوقى » فيه لأسباب:

(أ) أن الحصرى قد فصل هذا المعنى وأكده فى أبيات أربعة هى:

ينضو من مقلته سيفا وكأن نعاسا يغمده
فيريق دم العشاق به والويل لمن يتقلده
كلا لا ذنب لمن قتلت عيناه ولم تقتل يده
... ...
إنى لأعيذك من قتلى وأظنك لا تتعمده

بينما عبر عنه شوقى فى نصف بيت « جحدت عيناك زكى دمى ..... »

(ب) أتاح هذا التفصيل للحصرى أن يصنع الصور الخيالية الرائعة للتعبير عن هذا المعنى فيتخيل نظرة الحبيب — وهو يرنو إليه سيفا قاتلا لفتنتها وسحرها ، كما يتخيل النعاس عمدا لهذا السيف ، بل إنه ليبالغ فى هذا الخيال ويسترسل فيه حين يتخيل — أيضا — أنه — أى الحبيب — يريق بهذا السيف دم العشاق ، وما أكثر ما أراق من دمائهم، ولذا فهو مطالب بالثأر من قبل هؤلاء الشهداء !!

ينضو من مقلته سيفا وكأن نعاسا يغمده
فيريق دم العشاق به والويل لمن يتقلده

ثم يصعد الحصرى عملية التخييل حين ينفى عنه جريرة القتل وكأن القتل

صار حتيفة لأنه قتل بعينيه ولم يقتل بيده !

كلا لا ذاب لمن قتلت عيناه ولم تقتل يده !

... ...

إنى لأعينك من قتلى وأظنك لا تتعمده !

هذه كلها صور خيالية رائعة وفق بها الحصرى فى التعبير عن هذا المعنى ؛ بينما لم يعبر عنه شوقى بأكثر من صورة خيالية واحدة هى :

« جحدت عيناك زكى دمى ... ... »

٧ — حمرة الخد:

حمرة الخد معنى عبر عنه الحصرى فى بيتين ، هما :

يا من جحدت عيناه دمى وعلى خديه تورده

خداك قد اعترفا بدمى فعلام جفونك تجحده؟

وعبر عنه شوقى فى بيتين كذلك هما :

جحدت عيناك زكى دمى أكذلك خدك يجحده؟

قد عز شهودى إذ رمتا فأشرت لخدك أشهده

وحينما نقارن بينهما نجد أن أبيات الحصرى وشوقى تكاد تكون متساوية فى الصور الخيالية ، إلا أننا نجد أن قول الحصرى أوضح وأظهر فى الدلالة على هذا المعنى من قول شوقى ، وذلك قوله :

يا من جحدت عيناه دمى وعلى خديه تورده

ولعل كلمة « تورده » هى التى أكسبت المعنى وضوحا وظهورا لما توحى به فى النفس من اللون الأحمر المقترن — غالبا — بذكر الورد، لأن الحمرة هى اللون الغالب فى الورد ، فيقال : تورد الخد : صار بلون الورد .

ثم أكد هذا المعنى بعد ذلك حين جعل حمرة الخد اعترافا منه بجناية

عينى الحبيب وكأن هذه الحمرة من آثار دماء المقتولين :

خداك قد اعترفا بدمى فعلام جفونك تجحده

أما دلالة قول شوقى على هذا المعنى فهى دون دلالة قول الحصرى ، فهو يكتفى بالتعبير عن حمرة الخد بهذا الاستفهام :

جحدت عيناك زكى دمى أكذلك خدك يجحده ؟

ثم يؤكد هذا المعنى بقوله :

قد عز شهودى إذ رمتا فأشرت لخدك أشهده

وإن كان قول شوقى أرق من قول الحصرى .

٨ — هلاك المحب وبكاء الناس عليه :

هلاك المحب وبكاء الناس عليه معنى عبر عنه الحصرى فى أبيات ثلاثة، هى:

ما ضرك لو داويت ضنى صب يدنيك وتبعده؟!

لم يبق هواك له رمقا فليبك عليه عوده

وعدا يقضى أو بعد غد هل من نظر يتزوده ؟

وعبر عنه شوقى فى بيتين ، هما :

مضناك جفاه مرقده وبكاه ورحم عوده

... ...

أودى حرقا إلا رمقا يبقيه عليك وتنفده

ويلاحظ من المقارنة بين الشاعرين فى هذا المعنى أن الحصرى قد تفوق على شوقى حين فصل هذا المعنى وأكده بأبيات ثلاثة متتالية ، بينما عبر عنه شوقى فى بيتين ، وهذا قد أتاح للحصرى أن يصور حال هذا المحب فى صور متنوعة ، وأخيلة رائعة مستعطفا بها قلب حبيبه وهذه الصور هى :

« ما ضرك لو داويت ضنى صب » « يدنيك وتبعده » « لم يبق هواك له رمقا » « هل من نظر يتزوده »

أما الصور فى بيتى شوقى فهى : « مضناك جفاه مرقده » ، « أودى حرقا إلا رمقا » ، « يبقيه عليك وتنفده »

هذا بالإضافة إلى أن الحصرى كان أبلغ فى التعبير عن أثر هوى الحبيب فى المحب ، ذلك الأثر البالغ الذى أودى بحياة المحب ولم يبق فيه شيئا حتى الرمق الأخير : « لم يبق هواك له رمقا » ، بينما شوقى لم يجعل لهوى الحبيب ذلك الأثر القاتل ، فجعله أضعف من ذلك حين جعل للمحب بقية من حياة ، ولم يجعل للهوى ذلك الأثر المهلك كما فعل الحصرى ، وذلك حين يقول شوقى :

« أودى حرقا إلا رمقا ... »

(د) وجوه الحسن :

(أ) وجوه الحسن فى قصيدة الحصرى :

حفلت قصيدة الحصرى بوجوه كثيرة من وجوه الحسن دللنا عليها أثناء الدراسة والموازنة ، ونذكر منها هذه الصور الرائعة :

١ — صورة تصيد الطيف :

نصبت عيناى له شركا فى النوم فعز تصيده
وكفى عجبا أنى قنص للسرب سبانى أغيده

٢ — صورة رضاب الحبيب :

صاح والخمر جنى فمه سكران اللحظ معربده

٣ — صورة جناية العين :

ينضو من مقلته سيفا وكأن نعاساً يغمده
فيريق دم العشاق به والويل لمن يتقلده
كلا لا ذنب لمن قتلت عيناه ولم تقتل يده

٤ — صورة استعطاف المحب :

لم يبق هواك له رمقـــا فليبك عليـه عـــوده
وغدا يقضى أو بعد غـــد هـــل من نظر يتزوده

* * *

(ب) وجوه الحسن فى قصيدة شوقى :

فى قصيدة شوقى الـكثير من دلائل الإبداع وآيات البيان ، عرضنا هنا ـ أيضا ـ عند الموازنة ونذكر منها ـ هنا ـ هذه الصور البيانية الرائعة :

١ — حيرة المحب وعذابه :

أودى حـــرقا إلا رمقـــا يبقيـــه عليـــك وتنفده
يستهوى الورق تأوهـــه ويذيب الصخر تنهـــده
ويناجى النجم ويتبعـــه ويقيم الليـــل ويقعـــده
ويعـــلم كل مطـوقة شجنا فى الدوح تردده

٢ — حبة وهيامـه :

مولاى وروحى فى يده قـد ضيعها سلمت يده
ناقوس القلب يدق لـــه وحنايا الأضلـــع معبده
... ...

٣ — جمـال الحبيب :

قد ود جمـالك أو قبسا حوراء الخـلد وأمرده

* * *

(ه) وجوه الضعف :

(أ) وجوه الضعف عند الحصرى :

فى قصيدة الحصرى بعض أوجه الضعف ، كشفنا عنها أثناء الدراسة والموازنة ، والتى منها :

١ — قوله فى جمال الحبيب :

صنم للفتنة منتصب أهواه ولا أتعبده

٢ — قوله فى صبره على الهجر :

ما أحلى الوصل وأعذبه لولا الأيام تنكده
بالبين وبالهجران فيا لفؤادى كيف تجلده

٣ — قوله فى جناية العين :

إنى لأعيذك من قتلى وأظنك لاتتعمده

* * *

(ب) وجوه الضعف عند شوقى :

فى قصيدة شوقى — كذلك — بعض الوجوه الضعيفة التى عرضنا لها أثناء الدراسة والموازنة ، منها :

١ — قوله فى الحرص على الحب والبراءة من السلوان :

بينى فى الحب وبينك ما لايقدر واش يفسده
ما بال العاذل يفتح لى باب السلوان وأوصده

٢ — قوله فى الخصر :

وبخصر أرهن من جلدى وعوادى الهجر تبدده

٣ — قوله فى الخال :

وبخال كاد يحج له لو كان يقبل أسوده

٤ — قوله فى الجمال :

وتمنت كل مقطعة يدها لو تبعث تشهده

* * *

(و) التجربة الشعرية والعاطفة فى القصيدتين :

نلاحظ أن التجربة الشعرية فى قصيدة الحصرى أقوى منها فى قصيدة شوقى ، فقد ظهر فيها تأثر الحصرى بموضوعه تأثراً قويا حيا صادقا ، عما كان له أثره فى حرارة الانفعال وقوة العاطفة التى لها أثرها الفعال فى إظهار التجربة الشعرية حية وصادقة ، والتى لها أثرها — أيضاً — فى خلق الخيال المصور والجمال البيانى المؤثر فى نفوس القراء والسامعين ، وقد رأينا هـــذه الآثار واضحة فى قصيدة الحصرى ، بينما قصيدة شوقى أقل تأثيراً بالتجربة الشعرية ، وبالتالى أقل عاطفة وأضعف انفعالا ، والسر فى ذلك أن شوقيا معارض مقلد ، لا مبتدئ مبتدع ، والصنعة بعيدة عن الفطرة التى يمكن أن تغذيها العاطفة وتشعلها حرارة الانفعال .

ولذا نرى « شوقيا » يحلق فى سماء الفن حينما يخترع المعانى ويبدع الصور الشعرية ويبتعد أيضاً عن التقليد فالمعانى التى انفرد بها شوقى فى قصيدته هذه كانت أروع من التى حاكى فيها الحصرى ولكن ذلك كله لم يمنع « شوقيا » أن يتفوق على الحصرى فى بعض المعانى التى اشتركا فيها وأن يحلق فيها خياله ، فيأتى برائع الصور ، وبديع الألفاظ وجميل التعابير ، مما أوردناه وبسطنا القول فيه أثناء الدراسة والموازنة .

(ز) الوحدة العضوية فى كل منهما

الوحدة العضوية فى قصيدة شوقى بادية ظاهرة ، فالقصيدة كلها وقف على الغزل ، وأجزاؤها كلها متلاحقة ، مترابطة الصور والأخيلة ، كما أن الفكرة والتجربة والانفعال فيها متشابك .

أما قصيدة الحصرى ، فالقسم الغزلى منها لو فصل عن الغرض الأصلى لها وهو المدح لأعطانا هذه الوحدة العضوية ، ولكن مجىء المدح فيها بعد الغزل أضعف هذه الوحدة العضوية ضعفاً ظاهراً .